وامر الناس بحج البيت فقال ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال
تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه
الصلوة والسلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وحرم صيده وجعل البيت بازائه ودحيت الارض من تحته
فهذه الفضايل واكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم اقسم الله تعالى
بها. **فصل** روى منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت
فيه من شيء فانت حل وكذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة
ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
السدي انت في حل ممن قاتلك ان تقتله وروى ابو صالح عن ابن
عباس قال احلت له ساعة من النهار ثم حرمت الى يوم القيمة
وذلك فتح مكة قال ابن زيد لم يكن بها احد حلالا غير النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل معناه وانت مقيم فيه وهو محلك اي من
اهل مكة نشأت بينهم ويعرفون فضلك وطهارتك لقوله تعالى
لقد جاءكم رسول من انفسكم وقيل انت فيه محسن وانا عنك
فيه راض وذكر اهل اللغة يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل
حرم وحرام ومحرم وقال قتادة وانت حل به اي لست باثم
وقيل معناه انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه
معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون
الكفر بالله فيه وقال شرحبيل بن سعد وانت حل بهذا البلد
اي حلال اي يحرمون مكة ان تقتلوا بها صيدا وتعضدوا بها
شجرا ثم مع هذا يستحلون اخراجك وقتالك فتعجب من جراتهم
وشدة عداوتهم **قوله** ووالد وما ولد قيل ما بمعنى من
او بمعنى الذي وقيل مصدرية اقسم بالشخص وفعله وقال الزمخشري
فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله تعالى والله اعلم
بما وضعت اي باي شيء وضعت اي موضوعا عجيب الشان وقيل ما
نافية فتحتاج الى اضمار موصول به يصح الكلام بتقديره والذي
ما ولد اذ المراد بالوالد من يولد له وبالذي لم يلد العاقر قاله معناه
ابن عباس وتلميذه ابن جبير وعكرمة **فصل** هذا معطوف
على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله تعالى وانت حل بهذا البلد
معترض بين المعطوف والمعطوف عليه قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة والضحاك والحسن وابو صالح والطبري المراد بالوالد ادم
عليه الصلوة والسلام وما ولد اي وما تناسل من ولده اقسم بهم
لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق
والتدبير واخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار
لدينه وامر الملائكة بالسجود لادم عليه الصلوة والسلام وعلمه الاسماء
كلها ولقد قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم وقيل هو اقسام بادم
والصالحين من ذريته واما الطالحون فكانهم بهايم كما قال تعالى
ان هم الا كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقيل
الوالد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وما ولد ذريته وقيل الوالد
ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم لانه اقسم بمكة
وابراهيم قال الفراء وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وقوله وما

وما خلق

خلق الذكر والانثى وهو الخالق الذكر والانثى قال الماوردي ويحتمل
ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله
عليه الصلوة والسلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته
بعد ان اقسم ببلده ومبالغة في تشريفه عليه الصلوة والسلام **قوله**
لقد خلقنا الانسان في كبد هذا هو المقسم عليه والكبد المشقة قال
الزمخشري واصله من كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده فاتسع
فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل
كبته يعني اهلكه واصله كبده اي اصاب كبده قال لبيد
يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد
اي في شدة امر وصعوبة الخطب وقال ابو الاصبع
لي ابن عم لو ان الناس في كبد لظل محتجرا بالنبل يرميني
قال القرطبي ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد ومنه الكبد لانه
تتغلظ وتشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته **فصل**
الانسان هنا ابن ادم قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في كبد اي
شدة ونصب وعن ابن عباس ايضا في شدة من حمله وولادته
ورضاعه ونبت اسنانه وساير احواله وروى عكرمة عنه
قال منتصبا في بطن امه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان
عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة على
وجهها الا ابن ادم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد
وغيرهما قال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا اراد ان يخرجه
من بطن امه قلب راسه الى رجل امه وقال الحسن كابد مصايب
الدنيا وشدايد الاخرة وقال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد ما
يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال بعض العلماء اول
ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق
والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه
ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع
ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته وهيبته ثم يكابد شغل
التزويج والاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف
الركب والهرم في مصايب يكثر تعدادها من صداع الراس ووجع
الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد
محنا في النفس والمال من الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي
فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده مسايلة الملك
وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر
به القرار اما في الجنة واما في النار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان
في كبد فلو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدايد ودل هذا على ان له
خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره وقال ابن زيد المراد
بالانسان هنا ادم عليه السلام وقوله تعالى في كبد اي في وسط السماء وقال
الكلبي نزل هذا في رجل من بني جمح يقال له ابو الاشد واسمه اسيد بن كلدة
ابن جمح وكان شديدا قويا يأخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدمه ويقول
من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق الاديم ولا يزول قدماه
وكان من اعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر
عليه احد يعني لقوته وقال الترمذي في كبد اي مضيعا ما يعنيه مشتغلا
بما لا يعنيه **قوله** ايحسب ان لن يقدر عليه احد اي ايظن ابن ادم ان لن

Copyright King Saud University